الكلدانيون في شرقي الجزيرة العربية

نورة بنت عبدالله علي النعيم

ملخص: يعد الكلدانيون من الشعوب التي استقرت جنوبي بابل، وقد كان لهم دور مهم في تاريخ المنطقة، واقترن اسمهم في نصوص وادي الرافدين بالآراميين، والعرب، وغيرهم من أجناس سامية وغير سامية. ظهر الكلدانيون في جنوبي بابل في بداية الألف الأولى ق. م. واستطاعوا السيطرة على عرش بابل عدة مرات، حتى تمكنوا في النهاية من تأسيس دولة بابل الحديثة.ومع أن تاريخهم أكثر وضوحاً، قياساً بالشعوب التي جاورتهم في المنطقة؛ إلا أن أصلهم ظل لغزاً حيّر كثيراً من الدارسين. وعلى الرغم من ظهور عدة دراسات تناولت هذا الموضوع، إلا أنها لم تصل إلى نتيجة مؤكدة حول أصلهم، لكن العثور على مجموعة كتابات عربية قديمة في كل من جنوبي العراق وشرقي الجزيرة العربية أخذت دليلاً على صلة الكلدانيين بمنطقة شرقي الجزيرة العربية. يتناول هذا البحث مدى صحة هذا الرأي، وما القرائن المؤشرة لذلك؟ وهل يمكن الجزم من خلالها بمجيء الكلدانيين من شرقي الجزيرة العربية أم لا؟

Abstract. The Chaldeans are one of the peoples who settled in the south of Babylon, and they had an important role in the history of the region, their name was Coupled in the texts of Mesopotamia with the Arameans, Arabs and other races Semitic and none Semitic. The Chaldeans appeared in the South of Babylon at the beginning of the First millennium B.C.and were able to control the throne of Babylon Several times until eventually they were able to establish the New Babylon empire. Although their history more pronounced compared to Other peoples in the region, but their origin remained a mystery puzzled Many researcher. Despite of the several studies on this subject, none of These studies have reached a certain conclusion about their origin, but After the discovery of many inscriptions in southern Mesopotamia And East of the Arabian Peninsula a new evidence emerge on linking Chaldeans to eastern Arabia. This article will examine the validity of This view and the evidence to conclude whether the Chaldeans came From eastern Arabia or not?

مقدمة

يعد الكلدانيون من الشعوب التي استقرت في جنوبي بابل، وقد كان لهم دور مهم في تاريخ المنطقة، واقترن اسمهم في نصوص وادي الرافدين بالآراميين والعرب وغيرهم من أجناس سامية وغير سامية. ظهر الكلدانيون في جنوبي بابل في بداية الألف الأولى ق. م. واستطاعوا السيطرة على عرش بابل عدة مرات، حتى تمكنوا في النهاية من تأسيس بابل الحديثة (الخريطة ١). ومع أن تاريخهم أكثر وضوحاً، قياساً بالشعوب التي جاورتهم في المنطقة، إلا أن أصلهم ظل لغزاً حيّر كثيراً من الدارسين. وعلى الرغم من ظهور عدة دراسات تناولت هذا الموضوع إلا أنها لم تصل إلى نتيجة مؤكدة حول أصلهم، لكن العثور على مجموعة كتابات عربية قديمة في كل من جنوبي العراق وشرقي الجزيرة العربية أخذت دليلاً على صلة الكلدانيين بهذه المنطقة.

يناقش هذا البحث مدى صحة هذا الرأي، وما الدلائل المؤشرة لذلك؟ وهل يمكن الجزم من خلالها بمجئ الكلدانيين من شرق الجزيرة العربية أم لا؟

يتكون البحث من ثلاثة أجزاء:

الجزء الأول: لمحة تاريخية عن الكلدانيين، بعد استقرارهم في جنوبي بابل.

الجزء الثاني: عرض لأهم الشعوب التي اشتركت مع الكلدانيين في أصلها السامي، وشاركتهم العيش جنوبي بابل.

الجـزء الـثالـث: دراسـة لـلآراء الـتي طـرحـت حـول أصل الكلدانيين، وعـرض أهم الدلائل التي ترجّح مجيئهم من شرقي الجزيرة العربية.

أولا: لمحة تاريخية

تعود أول إشارة للكلدانيين في جنوبي وادي الرافدين إلـى عهد الملك الأشـوري أشـور ناصربال الثاني (٨٨٣-٨٥٩ ق.م.)، في عـام ٨٧٨ ق.م. إذ ورد في حولياته ذكر بـلاد كـلـدان (Lukenbill 1975: 204)، واسـتـمـر ذكرهم في الحوليات الأشورية بعد ذلك، نظرا للنزاع الذي كان يدور بين الأشوريين الكلدانيين حول السيطرة على بابل؛ ففي عام ٨٥٠ ق. م. أرسل شلمناصر الثالث (٨٥٨-٨٢٤ ق.م.) حملة وجّهها نحو بابل و كلدان، وأرغم ملوك المنطقة ومشايخها على دفع الجزية (باقر ٢٠٠٩: ٥٥٥؛ Brinkman 1968: vol 43:260)، فقد ورد في نصوصه ذكر أسماء أشهر بيوتهم. كما استلم شمشي اداد الخامس (٨٢٣-٨١١ ق. م.) الجزية من ملوك كلديا عام ٨١٢ ق. م. و نجح ابنه اداد نيرا ري الثالث (٨١٠-٧٨٣ق. م.) في إخضاع كلديا، وبعد وفاته مرت الدولة الأشورية بفترة من الضعف؛ ما شجع الكلدانيين على التقدم نحو الشمال، والاستيلاء على بابل عدة مرات (Ibid: 261-262).

وقد كان ذلك بداية النزاع المباشر بين الطرفين الأشوري والكلداني، واستطاع تجلات بلاسر الثالث (٧٤٤-٧٢٧ق.م.) إخراج الكلدانيين من بابل والاستيلاء عليها وأرغم قبائل كلديا على دفع الجزية (Ibid: 241) إلا إن ظهور شخصية مردوخ بلادن الثاني (٧٢١-٧١٠ق.م.) في كلديا كان سبباً في تجديد النزاع.

تمكّن مردوخ بلادن، بشخصيتة القوية، من جمع كلمة القبائل الكلدانية تحت سلطته، ووحّدهم في جبهة واحدة ضد الحكم الآشوري منذ ٧٢١ ق. م. (Brinkman 1964: 6-53) وساعده على ذلك الثراء الاقتصادي الذي تمتعت به قبائل كلديا، وكذلك حصوله على مساندة عيلام في الشرق والقبائل العربية والأمورية في الغرب (Olmstead 1923:18-27)، ودارت بين مـردوخ بـلادن وبين ملوك أشـور سـرجون الثاني (٧٢١-٧٠٥ق.م.) وسنحريب (٧٠٤-٦٨١ق.م.) عدة معارك، كان من نتائجها إبعاده عن إقليم بابل، لكنه كان ما يلبث أن يعود متى سنحت له الفرصة (Lukenbill vol 2 :2, 116; Brinkman 1964:18-27).

ولم ينتهِ الصراع بين القوتين بعد وفاة مـردوخ بلادن، بل استمر إلـى أن تمكّن نبوبلاصر من مهاجمة الحامية الأشورية، ثم قصد بابل واستقل بعرشها. وتحالف ميديا والكلدانيين ضد أشور، وبعد سقوط أشور في عام ٦١٢ق.م. خلا الطريق أمام الكلدانيين للاستيلاء على بابل، وتأسيس دولة بابل الحديثة.

تم التعرف على شـيء من حياة الكلدانيين من خلال الحوليات الأشـوريـة، بعد إقامتهم فـي جنوب بـابـل؛ وقد أشـارت تلك الحوليات إلى عدد من قبائلهم، أهمها: بيت أموكاني، وبيت داكوري، وبيت ياكن، وبيت شالي (Brinkman 1968: 260 note 1661)، وسكنت هذه القبائل في أقصى جنوبي بلاد وادي الرافدين، وعلى سواحل الخليج العربي، والأطـراف الجنوبية لنهر الفرات. وتعد بيت ياكن أعظم تلك القبائل، وتنسب إلى مؤسسها يكن، الذي يعد كذلك المؤسس الحقيقي لكلديا، وقد أعطى اسمه لأكبر قبائلها (Dougherty, 1932:51). تقع يكن في أقصى الجنوب في المنطقة التي عرفت في الحوليات الأشورية بإقليم البحر، ويبدو أن نفوذها كـان قـويـاً وشمل منطقة واسـعـة، منها الساحل الغربي للخليج العربي، وقد عرفت في تلك الفترة بمملكة البحر، كما أطلق الآشوريون على زعمائها لقب ملك (Brinkman 1968: 266; Dougherty: 43-47; Kamoo 1999: 32).

وكانت القبائل الكلدانية في بداية أمرها قبائل بدوية، تمكنت مـن الاسـتـقـرار فـي الأجـزاء الجنـوبيـة مـن وادي الـرافـديـن وسـواحـل الخليج العربي، لكنها كانت متفرقة تنقصها الوحدة السياسية، فكانت القبيلة التي تصل إلى مركز القوة تمد نفوذها على بابل، ويتولى زعيمها عرش بابل في فترات مختلفة (Brinkman 1968: 224, 235, 245). ويظهر من الحوليات الأشورية أن القبائل الكلدانية أخذت تميل إلى لاستقرار والتحضر، والعمل بالتجارة والزراعة وتربية الماشية (Ibid: 261)، كما أصبحوا قوة تصدت للوجود الآشوري في المنطقة، ودخلت معهم - كما أشير سابقا - في صراع، انتهى بنجاحهم في تأسيس دولة بابل

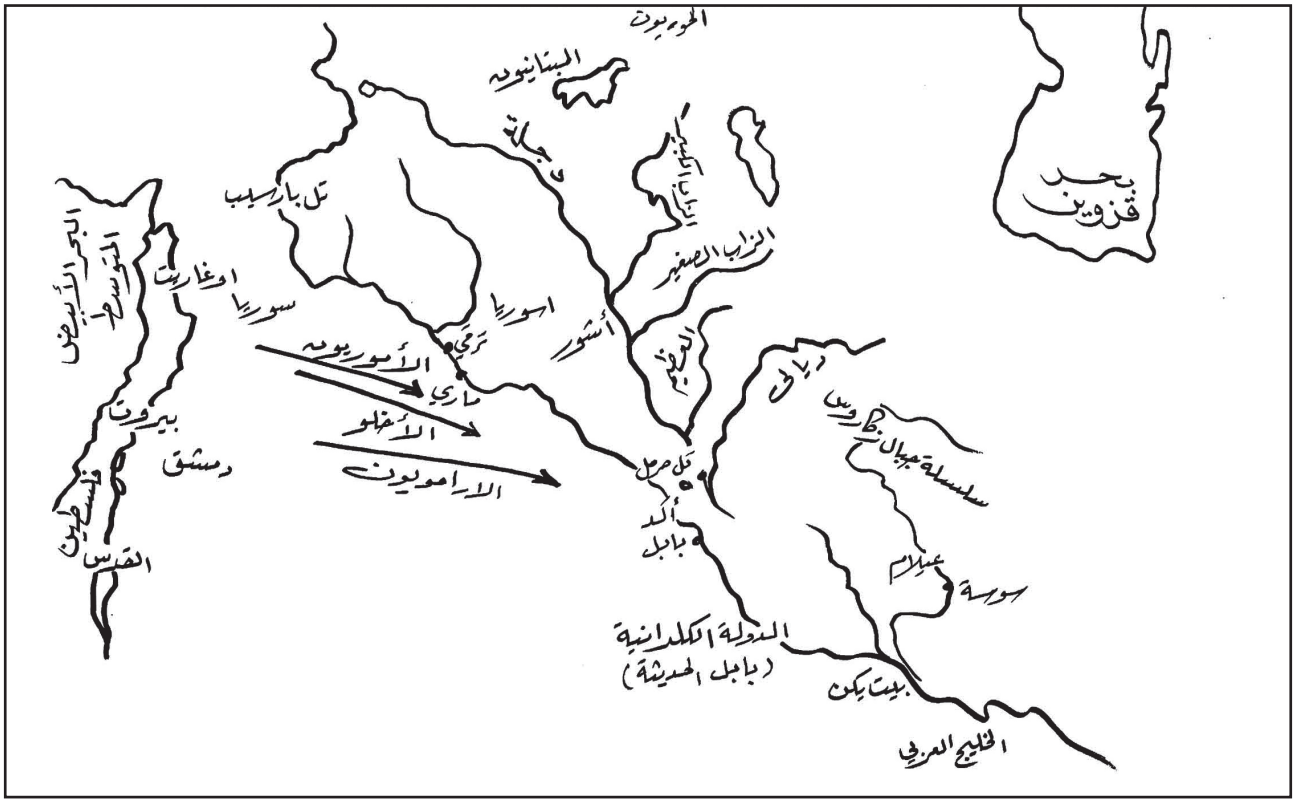

الخريطة ١: بلاد الرافدين في عهد الدولة الكلدانية (بابل الحديثة).

الحديثة، التي يرجّح أنها بدأت في ٦٢٦ق.م. واستمرت حتى ٥٣٩ ق.م. حين سقطت على يد الفرس الأخمينيين.

ومن أشهر ملوكهم نابو بلاصر (٦٣٠-٦٠٥ق.م.)، ونبوخذ نصر (٦٠٥-٥٦١ق.م.)، وآخر ملوكهم نبونيد (٥٥٦-٥٣٩ ق.م.). وعلى الرغم من أن تاريخ الكلدانيين في تلك الفترة كان أكثر وضوحاً من تاريخ العناصر الأخرى التي شاركتهم الإقامة في المنطقة، إلا أن أصلهم ظل لغزاً، وقد تساءل الباحثون من أين أتوا؟ وما لغاتهم، والجنس الذي انتموا إلية؟ وما يزال هذا التساؤل من دون إجابة مؤكدة، وإنما طرحت عدة آراء، ما تزال موضع نقاش بين الدارسين.

يعود السبب في عدم معرفة أصلهم، كونهم عرفوا فقط بعد استقرارهم في جنوبي بابل في القرن التاسع ق.م. وكانوا في تلك المرحلة قد تأثروا بالحضارة البابلية واقتبسوا منها الكثير، مثل اللغة، وتسمى الكثير منهم بأسماء بابلية (Brinkman 1968:265). ولعل في التعرف إلى الأقوام التي شاركتهم الإقامة في هذه المنطقة ما يساعد على معرفة أصولهم وصلتهم بشرقي الجزيرة العربية.

ثانيا: العناصر التي جاورت الكلدانيين جنوبي بلاد وادي الرافدين

يكاد يتفق كل من تعرّض للكلدانيين على أنهم من عنصر سام، وأنهم على صلة وثيقة بالمجموعات السامية التي جاورتهم في جنوبي بلاد الرافدين، خلال فترات مختلفة، بل هناك من يرى أنهم ينتمون لعنصر واحد (Ibid: 266؛ الذبيب ٢٠٠٧: ١٥).

وقبل الحديث في مسألة أصل الكلدانيين، لا بد من التعرّف إلى المجموعات التي عاشت إلى جوارهم في إقليم بابل، وكان قدومهم إلى المنطقة في فترات متقاربة معهم، نظراً لأن هذه الجماعات اشتركت معها في أصلها السامي؛ لعلنا نجد فيها ما يشير إلى منطقة مجئ الكلدانيين وهي:

١- الآموريون (Mur–Tu)

وهم مجموعات بدوية دفعت بها المناطق الصحراوية في شمالي الجزيرة العربية وبادية الشام إلى المناطق الزراعية في الهلال الخصيب وفلسطين وسوريا، بعد تعرضها لفترات

من الجفاف، منذ الألف الثالث ق.م.، واشارت النصوص المسمارية إلى تلك الجماعات منذ ٢٥٠٠ ق.م. كجماعات من البدو، تغير على أطراف المدن وتقوم بأعمال السلب والنهب فيها، ما اضطر حكام هذه المناطق إلى تحصين مدنهم وبناء أسوار حولها.

ويعد الآموريون من القبائل التي تحدثت بإحدى اللغات السامية الشمالية الغربية (Gadd 1965: 33-34). وقد ازدادت معرفة سكان بلاد وادي الرافدين بالآموريين الذين تسللوا تدريجيا إلى داخل المدن (Zarin: 244). وبمرور الوقت دخل أفراد منهم في الحياة السياسية في مدن وادي الرافدين (Ibid: 245). ولم يقتصر زحف الآموريين على منطقة بلاد وادي الرافدين بل امتد إلى شرقي الجزيرة، ويعتقد بعض الباحثين أن جزءاً منهم قد جاء إلى بلاد وادي الرافدين عن طريق الخليج العربي (Ibid: 245)، ومن الأدلة على علاقة شرقي الجزيرة العربية بالآمورين هو وجود جماعة منهم في دلمون، التي يبدو أنها كانت تشارك في التجارة بين الخليج وبلاد وادي الرافدين. وقد أصبح الآموريون حكاما في بلاد جنوبي وادي الرافدين، وسكنوا في دلمون (Ibid: 247).

٢- الأخلمو (Aḫlamũ)

وتعني الحلفاء أو الرفاق، وتشير عدة دلائل إلى أن أصل الأخلمو يعود إلى الآراميين، وأن موطنهم الأصلي هو الجزيرة العربية، وتسموا بالأخلمو منذ القرن الرابع عشر ق.م. (Zarins: 249) ويؤكد ذلك كل من داورتي (Dougherty) وبرنكمان (Brinkman) بأنهم فرع أرامي (Dougherty: 71)، أما الباحث جبسون (Gibson) فيرى أنهم بدو يختلفون عن الآراميين، وقد ظلوا على بداوتهم طوال فترة تاريخهم، وكان وصولهم بعد قبائل السوتو بعدة قرون، كما ويرجّح أنهم عنصر واحد (Gibsson 1961:Vol. 20, No. 4: 231).

كانت قبائل الأخلمو مصدر إزعاج للسلطة الأشورية في المنطقة الواقعة غربي أشور وبابل، وقد ظهروا منذ القرن الرابع عشر ق. م. في منطقة واسعة، تمتد من دلمون في الخليج العربي حتى حدود أشور (Potts, 1986,Vol.16: 164-173)، وجاء اسمهم مقترنا بالأراميين في الحوليات الآشورية، وسكنوا بالقرب منهم (Gibsson: 231) منذ القرن العاشر ق.م. ويعتقد «الناشف» أن كلمة الأخلمو هي الاسم الأصلي للآراميين، وأُطلق اسم الآراميون على الأخلمو، نسبة إلى منطقة أرام التي تقع شمالي سوريا (Nashef 1982: 5)، حيث اختفى هذا المسمى، وحلّ محله آراموا الذي عرفوا به لاحقا (Nashef 1982: 10).

٣- الآراميون

وهم فرعٌ سام، بدأ قدومهم إلى بلاد وادي الرافدين منذ النصف الثاني من الألف الثاني ق.م. من بادية الشام، وقد بدأ ظهورهم في شمالي بلاد وادي الرافدين، ثم انحدروا جنوباً. ويرى برنكمان أن الآراميين في الجنوب يختلفون عن الآراميين في شمالي بلاد وادي الرافدين، ولكنه لم يستطع تحديد علاقة الفرعين ببعضهما، كما يرى أن مجئ هؤلاء من الغرب أمر غير مؤكد (Brinkman: 267-268). ويعتقد برنكمان أن مسمى الآراميين ما هو إلا مسمى أخر للشعوب السالفة الذكر من السوتو والآخلمو، والتي سُمّيت بتلك الأسماء نتيجة لطبيعتها البدوية مثل الآخلمو، أو لتحالفها ضد عدو مشترك مثل السوتو، كما أشارت إلى ذلك نصوص شلمناصر الثالث التي دونت أثناء حملته على بابل، وذكر فيها أنه طارد فلول الآراميين من قبائل الكلدو إلى سواحل النهر المر (باقر ٢٠٠٩: ٥٥٥).

كان الآراميون على صلة وثيقة بالكلدانيين وإن كان قدومهم إلى إقليم بابل متأخراً عنهم بمئات القرون، كما أن الآراميين كانوا شوكة في جنب الدولة الأشورية؛ ما جعل ملوك أشور يشنّون عليهم الحروب. ويعد الآراميون في وادي الرافدين أقل ميلا إلى الاستقرار والتحضّر من جيرانهم الكلدانيين، فلم يقيموا في مدن كبيرة (Brinkman 1977, Vol. 46. No. 2: 307)، ويعتقد موريتس (Mortiz) (Eph'al 1974, Vol. 94: 108) وديتريش (Brinkman: 304) وأولمستد (Olmstead: 250) أن الآراميين والكلدانيين ينتمون إلى جماعة واحدة، ويرى هؤلاء أن موطن الكلدانيين الأصلي هو الجزيرة العربية. وقد اعتمد هؤلاء في رأيهم هذا على دراسة أسماء هذه الأجناس، كما استشهدوا باستخدام الكلدانيين للغة الآرامية. إلا أن التحوّل في لغة

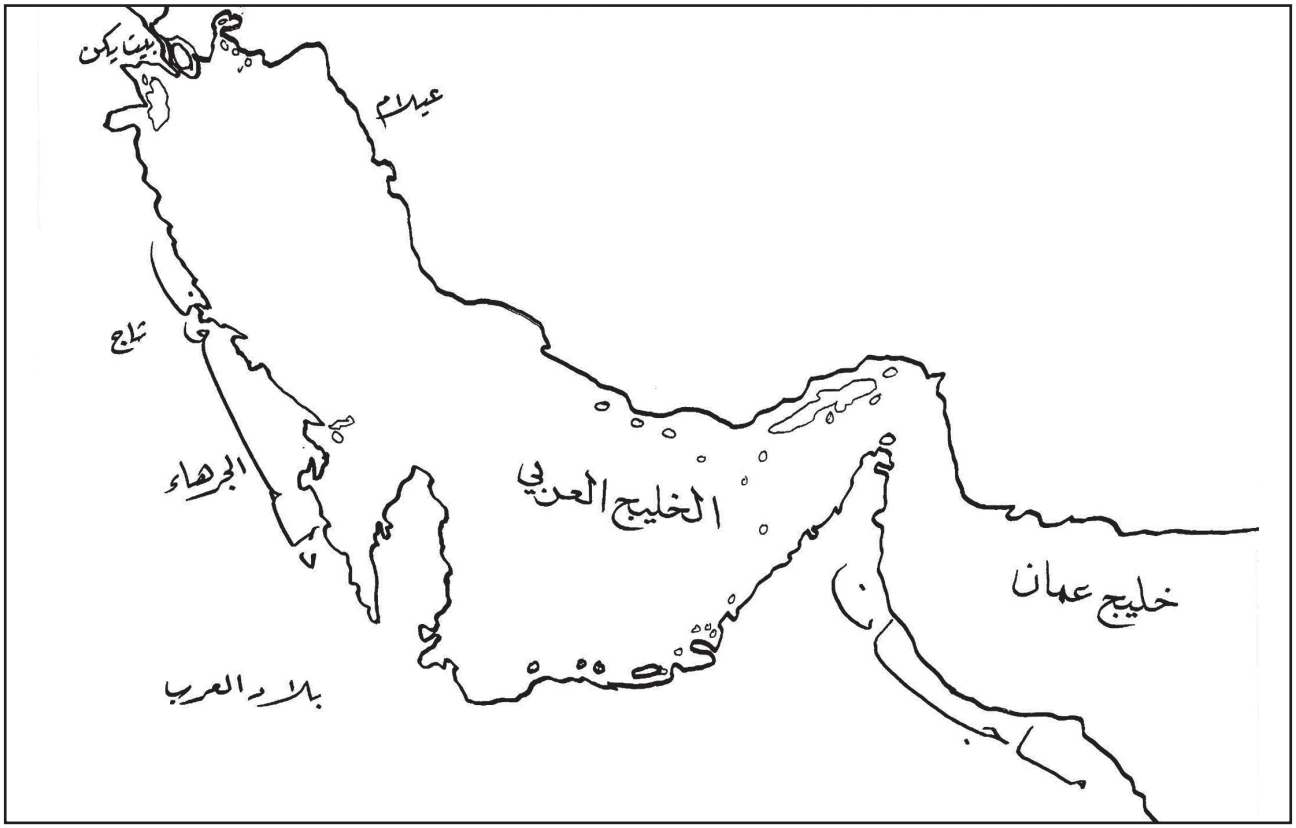

الخريطة ٢: شرقي الجزيرة العربية والخليج (دلمون وماجان).

الكلدانيين حدث في فترة متأخرة، عندما أصبحت اللغة الآرامية لغة سائدة في الدولة البابلية الحديثة، وعهدة الامبراطورية الأخمينية، واستشهدوا بنسب ابن الوحشية الملقب بالكلداني أو الكسداني؛ وابن الوحشية من بقايا النبط في جنوبي العراق كان يتحدث الآرامية والعربية وقد ترجم عددا من الكتب الآرامية إلى اللغة العربية في القرن العاشر الميلادي (Olmstead: 250). وقد لاقت تلك الآراء معارضة من قبل جماعة من الباحثين، من أمثال برنكمان الذي يرى أن الآراميين والكلدانيين على صلة وثيقة، لكنهما لا ينتميان إلى جماعة واحدة وأورد الباحث عددا من الفوارق بينهما[1].

٤- السوتيو (Sutu)

ظهروا أيضاً في النصوص البابلية على أنهم بدو، وكان ظهورهم وكذلك مناطق استقرارهم - حسب رواية النصوص - يتفق مع قدوم الآراميين وأماكن استقرارهم؛ لذا، عُدّوا فرعاً واحداً (Brinkman: 305-306). وبدأ ظهورهم في النصوص الآشورية منذ العهد الآشوري الوسيط (Brinkman 1968: 285) في النصف الثاني من الألف الثانية ق.م.، وقد أطلقت عليهم النصوص الآشورية المتأخرة لقب سكان الصحراء وسكان الخيام (Potts: 369)؛ وهذه الألقاب توحي بطبيعتهم البدوية، إضافة إلى اقترانهم بالأخلمو، بل يُرجّح أنهما من عنصر واحد؛ لذا ورد ذكرهم في بعض النصوص باسم سوتو أخلامو (Dougherty: 71, 151)، وقد انضمت أعداد منهم إلى قوات ملوك سوريا كجنود مرتزقة (الذييب ٢٠٠٧: ١٥-٣٨).

٥- العرب

ويقصد بهم الأعراب أو القبائل التي عاشت في المنطقة الممتدة من سيناء غرباً وحتى الفرات شرقاً، بما فيها شمالي الجزيرة العربية. وأول من أطلق عليهم هذا اللقب النصوص الأشورية منذ القرن التاسع ق.م. (الذييب ٢٠٠٧: ١٥). ويبدو أن استقرارهم غرب الفرات جاء بعد فترة متأخرة من الشعوب السابقة الأخرى كالآراميين، كما

ظلوا أقلية، مقارنة بالآخرين، فقد بقي الجزء الأكبر منهم خارج حدود بلاد وادي الرافدين وعلى أطرافه (Lukenbill , vol1:223)، قد يعزى ذلك لوجود القوى السياسة المسيطرة على المنطقة كالأشوريين والبابليين، وعدم رغبة هؤلاء العرب في الخضوع للقوى الأجنبية (Zadoc 1981: 44) ويرجح أن استقرار العرب في وادي الرافدين بدأ منذ النصف الثاني للقرن الثامن ق.م.،وأقام هؤلاء في مدن تحمل أسماء عربية ويقع معظم هذه المدن في أراضٍ كلدانية، وخاصة بيت آموكاني وبيت دكوري وقد اعتمد إفعل (Ephᶜal) في تحديد مناطق العرب على دراسة أسماء هذه المدن، (Ephᶜal:111-112) مع علمه بصعوبة التفريق بين الأسماء العربية والأسماء السامية الأخرى (Ibid:100; Zadok: 83).

وبعد هذا العرض السريع لأهم الجماعات التي شاركت الكلدانيين الإقامة في بلاد جنوب وادي الرافدين يمكن استخلاص النقاط الآتية:

١- اتفق معظم الباحثين على كون هذه الجماعات بما فيها الكلدانيين سامية الأصل. فإذا سلمنا بأن الجزيرة العربية هي الموطن الأصلي للشعوب السامية؛ فإن كل هذه الشعوب، التي مر ذكرها قد أتت من الجزيرة العربية على فترات مختلفة، وإن لم يكن قدومها إلى بلاد وادي الرافدين مباشرة.

٢- امتد وجود الجماعات السابقة حتى شرقي الجزيرة ودلمون بشكل أو بآخر وقد أشارت النصوص إلى وجودهم بالفعل في دلمون فعلا.

٣ - عدَّ عدد من الباحثين كل هذه الجماعات أرامية الأصل، مثل ديتريش وموريتس، وقد أكد الأخير الصلة الوثيقة بين هذه الأجناس، وبخاصة بين الكلدانيين والآرامين، ما يشير إلى تقارب أصولهم أو مناطق قدومهم.

٤- ومما يشير إلى تقاربهم مع العرب أو قدومهم من الجزيرة العربية يتمثل في نظامهم الاجتماعي القبلي المتعارف عليه في الجزيرة العربية، حيث كان كل بيت تحت سلطة شيخ أو زعيم يلقب بملك أحياناً (Oates 1978: 112).

ثالثا: أصل الكلدانيين

تطرق الكثير من الباحثين لدراسة الكلدانيين وطرحت عدة أراء حول أصلهم، اعتمدت في الأساس على كون الكلدانيين عنصراً سامياً، وأنهم على صلة وثيقة بالآراميين، وقد اتفق عدد من الباحثين على تحديد موطنهم في الجزيرة العربية، إلا أنهم اختلفوا في تحديد الجزء الذي قدموا منه. ويرى موريتز (Mortiz) أن جنوبي الجزيرة هو الموطن الأصلي للعنصر الكلداني والآرامي، معتمدا على دراسة الأسماء ومقابلاتها بأسماء من الجزيرة العربية، وقد انتقد إفعال (Ephᶜal) نظرية الباحث موريتز، مشيرا إلى أن الأسماء المعنية عربية، وهي من المحتمل أن تكون واردة في اللغة الآرامية، أو أي لغة سامية أخرى (Ephᶜal,I: 100)؛ بينما يرى قسم أخر أن موطن الكلدانيين هو شرقي الجزيرة العربية، حيث هناك العديد من الأدلة التي تشير إلى صلتهم بتلك المنطقة، كالنقوش الآشورية، وقد ورد ذكر لصلتهم بشرقي الجزيرة في حوليات الملك الآشوري سرجون الثاني (٧٢١-٧٠٥ق.م.) أثناء حروبه مع بيت ياكين، الواقعة على ساحل البحر المر وحتى دلمون (Lukenbill vol. 2:26؛ بن صراي ٢٠٠٢: ١٥٥٩). ومن تلك الأدلة ما ورد في جغرافية سترابون أن مؤسسي الجرهاء على ساحل الخليج العربي هم جماعة من الكلدانيين الفارّين من جنوبي بابل، على أثر حروب الملك الآشوري سنحريب ضدهم (Strabo 1983: 303)؛ وقد تبنّى هذه النظرية في العصر الحديث هذه النظرية عدد من الكتّاب، مثل فروستر (Froster) الذي يرى أن كلمة «Chaulo،thei» الواردة لدى ايراتوسثينس وكلمة «Kala thu» الواردة لدى بلينوس إنما هي تحريف لكلمة كالدو، ثم يجعل أراضيها في شرقي الجزيرة، بل إن الكاتب يرى أن قبائل بني خالد التي عاشت في المنطقة منذ أوائل القرن التاسع عشر الميلادي هم أحفاد الكلدانيين (Froster 1984: 50-55)، وأما داورتي (Dougherty)، فإنه لم يُشر بصراحة إلى أصل الكلدانيين، إلا أنه يجعل شرقي الجزيرة جزءاً مهماً من بيت ياكين، أهم مناطق الكلدانيين (Dougherty: 51).

كما لاقت نظرية قدوم الكلدانيين من شرقي الجزيرة العربية تأييداً، وبخاصة بعد اكتشاف مجموعة من النقوش

التي سجلت بحروف عربية جنوبية، لها مميزات خاصة في عدة مناطق، وقد قسمت هذه الكتابات إلى ثلاث مجموعات هي:

المجموعة الأولى: هي مجموعة نقوش في جنوبي بلاد وادي الرافدين مثل أور، ونيبور، وأوروك، وتل أبو صلابيخ، وعانه في المنطقة الغربية من بلاد وادي الرافدين، إضافة إلى خمسة أختام تحمل نقوشا مماثلة؛ ويدخل ضمن هذه المجموعة ختم ونقش عثر عليهما في لورستان (Potts 1983: 87).

المجموعة الثانية: نقوش مماثلة عُثر عليها في شرقي الجزيرة وتحديداً في ثاج وعين جاوان والقطيف التي تعد أقصى حدٍّ لهذا النوع من الكتابات (Ibid: 89; Winnet 1946: 4-5).

المجموعة الثالثة: هي كتابات عُثر عليها في تيماء، وهي تختلف بعض الشيء عن الكتابات السابقة؛ ولذا عدّها ونيت (Winnet) متأخرة عنها أو تطوراً لها (Winnett 1970: 70)، وقد اختلف الدارسون حول تسمية هذه المجموعة الثالثة من النقوش فأطلق عليها كتابة عربية قديمة، (Eph'al: 113)، وأطلق عليها كتابة كلدانية (Potts: 87) كما سماها بعضهم بالكتابات الحسائية (Bowen 1950: 25; Jamme 1966: 66) كتلك التي وجدت في منطقة الأحساء، أما مجموعة تيماء فعرفت بالنقوش التيمائية (Winnett: 90). وكما اختلف في تسميتها اختلف في تاريخها وتعدّ كتابات مدن بلاد وادي الرافدين أقدمها؛ إذ يقع تاريخها في الفترة ما بين القرن التاسع إلى الخامس ق.م. (Potts 1984:119).

أما نقوش الأحساء فقد قسمها بوتس (Potts) إلى ثلاث مجموعات الأولى تقع في الفترة ما بين القرنين الثامن والسابع ق.م.، والثانية من القرن الثالث حتى نهاية القرن الأول الميلادي، والثالثة من بداية القرن الأول حتى القرن الرابع الميلادي. (Ibid: 119) أما النقوش التيمائية فقد أرّخت في الفترة ما بين القرنيين السادس والخامس ق.م. (Winnett 1980: 137-138)، وكان العثور على هذه الكتابات في جنوبي بلاد وادي الرافدين وشرقي الجزيرة العربية أساسا لنظرية تبنّاها الباحث البرايت (Albright) تقول إن الكلدانيين قدموا من منطقة ما في شرقي الجزيرة العربية حاملين معهم كتابتهم، وعلى الرغم من تأثرهم بالحضارة البابلية، وبخاصة من ناحية اللغة والدين، فإننا نجدهم يحتفظون بكتابتهم لمدة تزيد على قرنين من الزمان (Eph'al: 100; Potts: 133)؛ إلا أن رأي البرايت هذا ينقصه الدليل المادي، كما أن هذه الكتابات قد تكون تابعة للعرب الذين استقروا غربي بلاد وادي الرافدين ويؤكد هذا إفعال (Eph'al)، الذي يعتقد أن هؤلاء العرب قدموا من شمالي الجزيرة العربية، مستدلاً على ذلك بوجود كتابات مماثلة في تيماء، إضافة إلى الأدلة الأخرى التي أوردها في بحثه، (Eph'al: 113). ولكن كتابات تيماء لا تصلح أن تكون دليلا على قدومهم إلى بلاد وادي الرافدين من شمالي الجزيرة العربية، لأنها متأخرة عنها بنحو قرنين من الزمان (Winnett: 137-138). وتشير الدراسات الأثرية للمواد التي سجلت عليها هذه النقوش إلى أنها محلية؛ لذا يستبعد أن تكون مستوردة من شرقي الجزيرة العربية أوجنوبيها مثلا (Brinkman1968: 260 note 1715)؛ ولهذا، فمن المحتمل أنها تعود لتجار عرب، أقاموا في هذه المناطق بصرف النظر عن جهة قدومهم، وبخاصة أن العلاقات التجارية بين الجزيرة العربية وبلاد وادي الرافدين التي تعود إلى فترة مبكرة، وما ورد في النصوص تلك ما يؤكد هذه العلاقة؛ فعلى سبيل المثال، عُثر في عانة على نقش يتحدث عن قافلة قادمة من سبأ إلى تيماء، حاولت الفرار من دفع الضرائب عن طريق تغيير وجهتها (Ismail 1983: 193). وقد أكدت النقوش في جنوبي وادي الرافدين وجود جاليات من أجناس أخرى كالفينيقيين وغيرهم (Zadok 1978: 62-57; Brinkman 1968: 266 ,note 1715).

لننتقل إلى شرقي الجزيرة العربية للبحث هناك عن دلائل تشير إلى الوجود الكلداني فيها:

١- أشارت النصوص الآشورية في أثناء حديثها عن بيت ياكين أو مملكة البحر، التي تشكل جزءاً كبيراً من كلديا أنها تشمل منطقة من ساحل الخليج العربي وحتى دلمون (Dougherty: 51, 66) ويبدو من هذه النصوص أن بيت يكن على علاقة وثيقة بالمنطقة، لكن هذا لا

يدل على أن الكلدانيين جاءوا من المنطقة، وإنما قد يكون وجودهم فيها من باب التوسع، وبخاصة في فترة نشاط الأشوريين في إقليم بابل.

٢- عُثر - إضافة إلى النقوش الحسائية السابقة الذكر- على مجموعة من النقوش الآرامية أو الآرامية الحسائية، في كل من القطيف وتاج في شرقي الجزيرة. ويرى بعضهم أيضاً أن بعض مدن المنطقة تحمل أسماءً ذات أصول آرامية (Potts 1983: 90, 91)، وقد اتخذت هذه الأدلة مؤشراً للوجود الكلداني في المنطقة، كما أنها مؤشر لصحة راوية سترابون (Strabo) حول مؤسسي مدينة الجرهاء، وعلى أن سكان المنطقة قد تحدثوا بالآرامية. ولكن إذا سلمنا بالوجود الآرامي أو التأثير الآرامي في شرقي الجزيرة، فإنة يبدو متأخراً عن الفترة التي نحن بصددها، وليس هناك دليل على أن الكلدانيين تحدثوا بالآرامية قبل قيام دولتهم (Ibid: 91).

٣- من الأسماء الكلدانية التي ترددت في النصوص: (Suzubu) وهو اسم لعدد من الزعماء الكلدانيين، الذين تولوا الحكم في بابل في فترات مختلفة، ومن بينهم (Suzubu) الذي فرَّ من وجه سنحريب أثناء حملته الرابعة على بيت يكن (Lukenbill: 143; Dougherty: 61, 64)؛ فمن المحتمل أنه فرَّ جنوبا إلى شرقي الجزيرة العربية، واستقر فيها، ومن المحتمل أن تكون هذه الحادثة أساساً لرواية سترابون حول فرار جماعة من كالديا إلى شرقي الجزيرة العربية. ما يلفت النظر وجود قبيلة عربية عاشت في المنطقة تحمل اسم شوذب، وقد ورد اسمها في عدد من النقوش الحسائية (Winnet: 5)، فهل هناك صلة بين الاسمين؟ وهل من الممكن اتخاذه دليلاً على وجود كلداني في المنطقة؟ ومثل هذه التساؤلات لا يمكن الإجابة عليها إلا من لدن ذوي الاختصاص.

وهكذا نجد أن المصادر الكتابية لا تمدنا بمعلومات كافية لتأكيد أو نفي مسألة قدوم الكلدانيين من شرقي الجزيرة العربية وعلاقتهم بها. ولعل في دراسة تحركات القبائل التي سكنت المنطقة، ما يساعدنا على البتِّ في هذه المسألة الشائكة.

لقد كان وادي الرافدين منذ فجر التاريخ عرضة لغزو جماعات من البدو كانت تزحف نحوه من جهة الغرب، وكثيراً ما يتأثر بها الساحل الشرقي للجزيرة العربية، وجزر الخليج العربي. وتحدث تحركات القبائل عادة بعد تعرض مناطقها لفترات جفاف؛ إذ تلجأ تلك القبائل إلى الاتجاه نحو الأراضي الزراعية الوافرة المياه، وقد أشارت نصوص بلاد وادي الرافدين إلى تلك الجماعات التي دعتها الآموريين (Zarine: 247).

وقد أجرى هوجلند (Hójlund) دراسة عن تحركات الآموريين في شرقي الجزيرة العربية، واستنتج منها أن قيام دلمون كدولة لها نظام سياسي، جاء نتيجة لضغط هؤلاء الآموريين على شرقي الجزيرة العربية؛ ويرى هذا الباحث أن دلمون في بدايتها تكونت من عدة مراكز على الساحل الشرقي للجزيرة العربية، ولكنها لم تعرف الوحدة السياسية؛ غير أن زحف الآموريين دفع بسكانها إلى التكتل تحت زعامة واحدة، لحماية مصالحهم، والدفاع عن مواردهم الاقتصادية، وقد دفع ضغط هؤلاءالبدو بالسلطة المركزية إلى الانتقال إلى جزيرة البحرين، واتخاذها مركزاً للدولة، لسهولة الدفاع عنها، وكان ذلك خلال الفترة ٢٢٠٠ – ٢٠٠٠ ق.م.، واستمر تدفق البدو، وتبعه تسلل تدريجي نحو جزيرة البحرين ثم سيطر هؤلاء على السلطة في دلمون، وأصبحت في أيديهم خلال الفترة من ٢٠٠٠ – ١٨٠٠ ق م. ولسبب غير معروف نجد أن البحرين تفقد مكانتها مركزاً لدلمون، وينتقل مركز ثقل الدولة إلى جزيرة فيلكا في رأس الخليج العربي وذلك خلال الفترة ١٨٠٠ – ١٦٠٠ ق.م. (Hojlund 1989: 45, 54).

ومن المحتمل استمرار زحف تلك الجماعة شمالاً حتى دخولهم جنوب وادي الرافدين عن طريق الخليج العربي.

والسؤال هنا: هل تكون تلك الجماعة أجداد الكلدانيين الذين تأخر ظهورهم في بلاد جنوبي وادي الرافدين خمسة قرون تالية؟ يبدو أن تأخر ظهورهم على مسرح الإحداث كان بسبب الغزو الكاشي لوادي الرافدين، ومن ثم لمنطقة الخليج العربي، وبخاصة إذا أخذنا في الاعتبار أن مدة

خمسة قرون كافية لأن يفقد هؤلاء الكثير من مظاهر حضارتهم الأصلية، وأن يتطبعوا بمظاهر الحضارة البابلية، وهي الصورة التي عرفوا بها. واستمر زحف البدو على دلمون خلال العهد الكاشي، حيث ذكرت رسالة من نيبور تعود للقرن الرابع عشر ق.م.، أرسلت من حاكم دلمون، يشكوا فيها من تحركات البدو الأخلمو وسطوهم على محاصيل التمور (Potts 1986: 169-173)، كما أثبتت الدراسات الآثارية أن البحرين لم تكن مهجورة بعد انتهاء الحكم الكاشي فيها، بل ظهرت فيها جماعة غريبة عن الجزيرة العربية يحتمل أن تكون وراء إنهاء الحكم الكاشي فيها، ويدل على وجود هذه الجماعة في البحرين العثور على فخار ذي مميزات تختلف عن الفخار الكاشي السابق له، وقد لوحظ أن هذه الجماعة على دراية بصناعة الفخار الكاشي (Kervran, et al 1989: 29, 30; Edens: 201)، ولعل هذا يكون مؤشرا إلى قدومها من منطقة غير بعيدة عن التأثير الكاشي مثل المنطقة الساحلية في شرق الجزيرة العربية، ومما يشير إلى ذلك أن فخارها أظهر صلة وثيقة بفخار الجزيرة العربية وقد عثرعلى أنواع منة منتشرة في مناطق مختلفة من الجزيرة العربية خاصة في المناطق الزراعية (Van Beek 1967: 83)، ويبدو أن هذه الجماعة تميل للبداوة إذ لم تظهر في فترة إقامتهم أي مبانٍ جديدة أو أختام. اختفت دلمون من نصوص بلاد وادي الرافدين منذ عهد الملك توكلتي ننورتا الأول (Tukultininartu 1) (١٢٤٤- ١٢٠٨ ق.م.) لتظهر من جديد في نصوص القرن الثامن (Oates: 429)، ويبدوا أن هذه الجماعة قد رحلت من جزيرة البحرين سلميا ولا يعرف أين اتجهت (Kervran: 30)، ومن المحتمل أن تلك الجماعة رحلت عبر الخليج إلى جنوبي بلاد وادي الرافدين، كما فعل الآموريين؛ وكان بلاد جنوب وادي الرافدين قد شهد خلال هذه الفترة الممتدة من ١٢٠٠- ٨٠٠ ق.م. استقرار جماعات بشرية سامية مثل الأخلمو، والسوتو، إضافة للكلدانيين، وقد قدمت كل هذه الجماعات فيما عدا الكلدانيين من الغرب، وخاصة أن بينهم وبين الآراميين علاقة وثيقة. والاحتمال الثاني أنهم قدموا من شرقي الجزيرة العربية، إذ أن الدراسات السابقة أثبتت أن المنطقة كانت مأهولة من قبل عناصر عربية لمدة أربعة قرون، كما أثبتت الإكتشافات الآثارية وجود مستوطنات في الساحل الشرقي للجزيرة العربية تعود إلى بداية الألف الاول ق.م. (Potts 1984: 24)، ويحتمل أن جزءا من سكان تلك المستوطنات قد رحل إلى بلاد جنوبي وادي الرافدين. ويستبعد قدوم الكلدانيين من عيلام، لوجود شبة كبير بينهم وبين الشعوب السامية. واذا سلّمنا بصحة الاحتمال الثاني، فان لمجيء هذة الجماعة آثاره؛ إذ لو ألقينا نظرة سريعة على أحوال المنطقة في تلك الفترة، لوجدنا ما يشير الى قدوم عناصر سامية جديدة، يظهر تأثيرهم في أسماء حكام الجنوب الكاشيين الذين حملوا أسماء سامية (Humphries 1974: 52-53).

وشهدت المنطقة كذلك اضطرابات انتهت بسقوط الحكم الكاشي على يد عيلام (Rogers 1915: 182, 183) ثم قيام سلالة آسين الثانية بحكم بابل (Brinkman 1968: 90) ولكن الاضطرابات استمرت حيث شهدت المنطقة فترة عدم استقرار سياسي بعد سقوط سلالة آسين الثانية.

وتتابع على عرش بابل عدد كبير من الملوك منهم مجموعة من مملكة البحر (Ibid: 131)، وقد استمرت هذة الاحوال حتى استطاع الكلدانيون التقدم من مملكة البحر نحو بابل، والاستيلاء عليها، ليبدأ صراع جديد بينهم وبين الآشورين ويلاحظ اختفاء دلمون من الأدلة الكتابية، ما يدعو إلى الاعتقاد أن التجارة معها توقف، وبخاصة أن المنطقة كانت تشهد اضطرابات وعدم استقرار، والحقيقة أن التجارة لم تتوقف، ولكنها كانت في هذة الفترة في أيدي القبائل القاطنة في أقصى الجنوب، وبخاصة الكلدانيين، ويظهر ذلك واضحاً من السلع التي قدمها هؤلاء جزيةً لملوك آشور (Eden: 198) ولعل معرفتهم بتجارة الخليج تعد دليلاً على معرفتهم التامة بالمنطقة، ما يرجّح قدومهم من منطقة الخليج العربي.

وهكذا، نجد أن الادلة السالفة الذكر تؤكد تحركات بشرية قدمت من الجزيرة العربية نحو شرقيها، ومن ثم نحو الشمال إلى بلاد وادي الرافدين، في فترات متتالية، ولعل الكلدانيين كانوا أحد هذه العناصر؛ لكن الأدلة السالفة الذكر وغيرها تشير إلى وجود علاقة بين الكلدانيين وشرقي الجزيرة العربية، استمرت طوال عهد الدولة البابلية الحديثة، حيث عُرف الخليج العربي لديهم ببحر الكلدانيين؛ ما يؤكد سكنى هذه الأقوام سواحل الخليج.

كما نال الخليج العربي اهتماماً كبيراً من لدن ملوك الدولة البابلية، وظل ضمن دائرة الاهتمام الكلداني حتى نهاية دولتهم، حيث نجد نقوش آخر ملوكها تشير إلى تبعية دلمون إدارياً لبابل، وتعيين حاكم إداري عليها. كما أكدت المكتشفات الآثرية وجود دلائل متنوعة تشير التي الصلات الحضارية والاقتصادية بين منطقة الخليج العربي وشرقي الجزيرة وبلاد جنوبي وادي الرافدين في هذه الفترة (بن صراي ٢٠٠٢: ١٥٦٦)، وقد تساعد الدراسات الآثارية المستقبلية في شرقي الجزيرة العربية على توفير ما يدعم المؤشرات السابقة، للربط بين الكلدانيين وشرقي الجزيرة وإثبات أن موطنهم الأصلي يقع على سواحل الخليج المطلة على الجزيرة العربية.

د. نورة بنت عبدالله علي النعيم: قسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة الملك سعود – الرياض.

قائمة المختصرات

JENS: Journal of Near Eastern Studies

PASA: Proceeding of the Seminar for Arabian Studies

BASOR: Bulletin of American School of Oriental Research

JAOS: Journal of American Oriental Studies

الهوامش

(١) عن نسب ابن الوحشية انظر: ابن النديم، ١٩٨٧م: ص ٤٢، ٣٧٢.

المراجع

أولاً: المراجع العربية:

باقر، طه، ٢٠٠٩م، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، دار الوراق، لندن.

الذييب، سليمان، ٢٠٠٧م، نقوش تيماء الآرامية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.

بن صراي، حمد، ٢٠٠٢م، «الكلدانيون ومنطقة الخليج العربي»، **مجلة أبحاث اليرموك**، (سلسلةالعلوم الإنسانية والاجتماعية)، عمان، مج ١٩، العدد ٣ ب.

ابن النديم، ابو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحق ١٩٨٧م، **كتاب الفهرست**، تحقيق محمد رضا تجدد، عامر كبير، طهران.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

Bowen, B.R. 1950. "Early Arabian Necropolis of Ain Jawn" **BASOR**, New Haven, No, 5-9.

Brinkman, J. A., 1968. "Political History of Post Kassite Babylonia", **Analecta Orientalia**, Rome.

....., 1977. "Note on Arameans and Chaldeans in Southren Babylonia in the early 7th C.B.C.", Orientalia Rome, Vol, 46. No. 2.

Dougherty, R., P. 1932. **The sea land of Ancient Arabia**, Yale University Press, New York.

Edens. C., "Bahrain and the Arabian Gulf during the second Millennium B.C., Urban and Colonialism "in **Bahrain through the Ages**.

Ephcal,I., 1974. "Arabs in the Babylonia in the 8th C.B.C" **JAOS**, New Haven, Vol. 94.

Froster. C., 1984. **The Historical Geography** of Arabia, Darf publisher Ltd, London.

Gadd, G.J., 1965. Babylonia 2120-1800 B.C., Cambridge.

Gibson, G., 1961. "Observation on Important Ethincs terms in the Pentateuch", **JNES**, , The Oriental Institute of University of Chicago, Chicago, Vol. 20.

Hojlund, F., 1989. "The Formation of Dilmun State and the Amorite Tribes" ,PASA,London,Vol 19.

Humphries, J. H. 1974. "Some later Prehistoric Sites in the Sultanate of Oman" PASA,London,Vol 4

Jamme, A., 1966. "A Sabaean and Hasaean Inscription from Saudi Arabia", **Studi Semetici**, No23, Rome.

Kamoo, R., 1999. **Ancient and modern Chaldean History**, The Scarecrow Press, Inc,London.

Kervran, et al, 1989. "The Occupational Enigma of Bahrain between the 13th and the 8th C. B. C." **Dilmun** Bahrain, Vol.

Al Khalifa, Haya, and Michael, Rice, 1986. **Bahrain through the Ages**, KPI, London.

Ismail, B.K., 1983. "ANA In the Cuneiform Sources", **Iraq**, The British School of Archaeology, London,Vol. 39.

Lukenbill, D. D., 1975. **Ancient Records of Assyria and Babylonia**, Green wood Press, New York, 2vol.

Nashef, KH, 1982. **Repertoire Geographiqu des Text Cuneiforms**, Bd5, Beiheftezum Tubinger Allas des Vorderen Orients ReiheB, gestewissenschaften, nr75, L. Reichert Wiesbaden.

Oates, D., "Dilmun and the late Assyrian Empire", **Bahrain through The Ages**.

Olmstead, A., T., 1923. **History of Assyria**, Charles Scribner's & sons, New York- London.

Potts, D.T., 1986. "Nippur and Dilmun", **PSAS** London, Vol.16.

Potts, D.T., "Dilmun's, Further relation: and Anatolian evidence from the 3rd and 2ed millennia B.C" in **Bahrain through the Ages**.

Potts, D.T., 1983. "Thaj in the light of recent Research" **Atlal**, Riyadh, Vol. 7.

Potts, D.T., 1984. "N.E. Arabia in the late Pre Islamic Era" Arabie **Orientalia, Mesopotamie et Iran Meridional de L'age du Fer au d'ebut dela Periode Islamique, Ed Rcherche Sur Les Civilization**, Paris.

Rogers, R.W., 1915. **A History of Babylonia and Assyria**, The Abindon Press, New York.

Strabo, 1983. **The Geography of Strabo**, Trans by H.L. ,Jones, Loeb Classical Library, London, BK16.

Van Beek, G., 1967. **Hajar Bin Humied**, Johns Hopkins Baltimor.

Winnett, F. V., and W. L. , Reed, 1970. **Ancient Records from North** Arabia. University of Toronto Press, Toronto.

Winnett, F.V., 1980. "A Reconsideration of some Inscriptions of from Tayma", **PSAS**, London, Vol. 10.

Winnett, F. V., 1946. "A Himyaritic Inscriptions from the Persian Gulf", **BASOR**, New Heaven, No. 102.

Zadoc, R., 1981. "Arabians in Mesopotamia during the late Assyrian Chaldeans, Achaemenian, and Hellenistic periodic, chiefly According to Cuneiform Sources" **Zeitchrift der Deutaschen Morgenlannndischen Gesselschaft**, Kommissionsverlag F. Steiner. Wiesbaden, Vol. 131

Zadok,R., 1978. "Phoenican,Philistines and Moabites in Mesopotamia" **BASOR**, New Haven, No, 230.

Zarin, S.J., «Mur-Tu and the land of Dilmun» **Bahrain through the Ages**.